مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

السياق بين البلاغيين واللسانيات النصية

الدكتور/ العادلى محمد أحمد سليمان
كلية البنات الأزهرية بطيبة
جامعة الأزهر

السياق بين البلاغيين واللسانيات النصية

الدكتور/ العادلى محمد أحمد سليمان
كلية البنات الأزهرية بطيبة
جامعة الأزهر

مقدمة:

نحمد الله تعالي ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وبعد.

فإن موضوع السياق ودراسته من الموضوعات المهمة في دراسة النصوص وتحليلها وصولاً إلي تفسير مبناها تفسيراً صحيحاً، وفهم دلالتها فهماً دقيقاً.

وللسياق جانبان، الأول هو السياق اللغوي للنص بدءاً من السياق الجزئي المتمثل في الجملة أو التركيب، وانتهاءً بالسياق الكلي المتمثل في سياق النص بأكمله، إضافةً إلي عناصر لغوية أخري ترتبط بالنص كالنبر والتنغيم والفواصل الصوتية، والجانب الآخر للسياق هو السياق غير اللغوي المتمثل في سياق الموقف بعناصره المختلفة، والسياق الثقافي والسياق الاجتماعي، والسياق الحضاري ... إلخ.

ونظراً لأهمية السياق جاء بحثي هذا: (السياق بين البلاغيين واللسانيات النصية) ليلقي الضوء علي نظرة البلاغيين للسياق وبيان أهميته ودوره في معالجة القضايا البلاغية، وأثره كذلك في إعادة قراءة البلاغة العربية وقضاياها قراءه اخري، كل ذلك في إطار معطيات علماء اللسانيات النصية الحديثة، ولكي يؤدي البحث إلي نتائج يمكن الإفادة منها – رأيت أن أقسم البحث إلي عدة محاور تتمثل فيما يلي:

المحور الأول: مفهوم السياق لغة واصطلاحاً:

المحور الثاني: أهمية السياق.

المحور الثالث: نظرة البلاغيين للسياق.

المحور الرابع: علماء اللسانيات النصية ونظرتهم للسياق.

المحور الخامس: نماذج تطبيقية.

وأخيراً تأتي الخاتمة وتشتمل علي أهم النتائج، وقائمة المصادر، والمراجع.

المحور الأول: مفهوم السياق لغةً واصطلاحاً:

السياق لغةً: من الجذْر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقاً وسياقاً)؛ فالمعني اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع[١]، وذكر التهانوي: أن السياق في اللغة بمعني (الإيراد) [٢]، ويؤكد هذا المعني أستاذنا الدكتور تمام حسان في حديثه عن المقصود بالسياق، قال إنه: التوالي، ومن ثم يُنظر إليه من ناحيتين: أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمي "سياق النص"، وثانيهما: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذا علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية تسمي سياق الموقف[٣].

أما مصطلح "السياق" في الدراسات اللغوية الحديثة، فإنه من المصطلحات العصية علي التحديد الدقيق، فليس له تعريف جامع مانع – كما يقول أهل المنطق – وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة تماسكاً وأضبطها منهجاً[٤].

ويتكون السياق – في الدرس الحديث – من جانبين:

الأول: السياق اللغوي :

وهو عبارة عن توالي العناصر اللغوية التي يتحقق بها التركيب والسبك، وطريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب، وطريقة النطق المصاحبة لها من نبر وتنغيم ....إلخ، ومجموعة العلاقات معجمية ونحوية ودلالية – التي يربط بعضها بعضاً، وينقسم السياق اللغوي إلي قسمين، الأول: سياق جزئي، وينحصر في التركيب أو الجملة الواحدة، ويمثل عند البلاغيين الشواهد، والأمثلة المقطوعة عن نصوصها، ويؤدي هذا السياق الضيق في بعض الأحيان إلي عدم الفهم الصحيح، الثاني: السياق الكلي، وهو سياق النص، وهو يشمل النص بأكمله، وهو أدعي إلي سلامة الفهم وتقليل احتمالات المعني.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سَ وَ قَ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) انظر : كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢٧/٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

(٣) قرنية السياق للدكتور تمام حسان ٣٧٥، بحث منشور في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتاب ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٤) د/ محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، عالم الكتب، القاهرة، طبعة أولي ١٩٩١م صـ٢٨.

الثاني: السياق غير اللغوي: [1]

وهو عبارة عن مجموعة العناصر غير اللغوية المصاحبة للأداء اللغوي ويُطلق عليها "سياق الموقف"، وتشمل:

١) أطراف الكلام (المتكلم والسامع أو جملة السامعين، والعلاقة بينهما وشخصية كل من الطرفين وثقافته وحالته النفسية.... الخ.

٢) ما يتصل بالكلام من موضوعات.

٣) الظروف المحيطة كالبيئة والزمن والأحداث المعاصرة له، سياسية، اجتماعية، ودينية، واقتصادية والتي تتصل بالموقف اللغوي.

إذن نستطيع القول: إن السياق اللغوي وسياق الموقف وجهان لعملة واحدة، وينبغي – أحياناً – عدم الفصل بينهما عند تحليل النصوص البلاغية.

هذا هو مفهوم السياق الذي ينطلق منه البحث.

ثانياً: أهمية السياق:

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، ومن قديم أشار العلماء إلي أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة "لكل مقام مقال"؛ فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما[2]، ولذلك ركز البلاغيون علي اللغة المنطوقة، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى، والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامى.

كما أن الكلمة لا معني لها خارج السياق الذي ترد فيه، وربما اتحد المدلول واختلف المعني طبقاً للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقاً لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه. [3]

---

(١) أشار إلي هذه الأقسام الدكتور/ محمود السعران في كتابة علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، طبعة دار المعارف ١٩٦٢م، صـ٣٣٩، ود/ كمال بشر ، دراسات في علم اللغة طبعة دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م، صـ٥٨.

(٢) انظر النحو والدلالة للدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف (مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي) طبعة أولي ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م صـ٣٣، ٣٦.

(٣) انظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة الدكتور أحمد نصيف الجنابي ٤٠٠ – ٤٠ العلمي العراقي، ج٤، مج٣٥، محرم سنة ١٤٠٥هـ، تشرين الأول ١٩٨٤م.

وللسياق أهمية كبيرة في التفريق بين معاني "المشترك اللفظي"، وأن التحديد الدقيق لدلالة هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق، وقد تعرض النحاة وعلماء البلاغة لهذه الأهمية، ففي " الكتاب " لسيبويه يتحدث تحت عنوان: "هذا باب اللفظ للمعاني"، فيقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وسترى ذلك إن شاء الله تعالى؛ فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير".(١)

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو المختلف، ومثل له بجلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد هو المترادف ومثل له بذهب وانطلق، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين هو المشترك اللفظي، ومثل له بـ"وجد" من الموجدة أو من وجدان الضالة، وتتضح إشارة سيبويه إلى ظاهرة المختلف والمترادف والمشترك اللفظي، مما لا يدع مجالاً للشك حول وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية(٢).

كما تدل هذه الإشارة المبكرة في أول كتاب نحوي به مسائل بلاغية يصلنا على مدى الاهتمام بموضوعات علم الدلالة "أو المعاني البلاغية" التي دارت حولها البحوث والمناقشات.

ويستفاد من حديث سيبويه أنه إذا تعدد معنى الكلمة تعددت بالتالي احتمالات القصد منها، وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعنى، ويقوم السياق ووضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً، مهما تعددت معانيها ويصرف ما يدعى من التباس أو إبهام أو غموض في الدلالة بسبب هذه الظاهرة. (٣)

---

(١) الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ١/ ٢٤.

(٢) انظر: علم الدلالة، للدكتور/ أحمد مختار عمر، طبعة عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م، ص ٢١٥، وانظر له أيضاً: ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت،عدد ٦، المجلد الثاني، ربيع ١٩٨٢م، ص ١٠: ٢١.

(٣) انظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة للدكتور/ أحمد نصيف الجنابي، ص ٣٦١: ٣٩٨.

وحول دور السياق في تحديد دلالة الظواهر يقول (فندريس): "الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ أن الكلمة الواحدة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها"(١).

وتتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدرس الدلالي في فوائد منها: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، ورد المفهوم الخاطئ، وغيرها(٢).

ويضاف إلى ما تقدم أن السياق يساعد على تعيين دلالة الصيغة، فربما جاءت بعض الأبنية متحدة الوزن، ولكنها تختلف في دلالتها على المعنى المراد، الذي يحدد هذه الدلالة إنما هو سياق الكلام، فمن ذلك أن أسماء الزمان والمكان تصاغ من الثلاثي على وزن مفعل بفتح العين، نحو مذهب ومشرب ومخرج، إلا في حالتين فإنهما يكونان فيهما على وزن مفعل بكسر العين، وفي كل ما تقدم لا نستطيع التفرقة بين الزمان والمكان إلا بالسياق، وهو الذي يحدد المراد ويعين المقصود، وكذلك فإن السياق يحدد الفرق بين صيغ المنسوب(٣).

وتتحدد أهمية السياق على مستوى التراكيب في إشارة الدكتور/ (محمد حماسة عبد اللطيف) إلى أهمية السياق في الوصول إلى المعنى النحوي الدلالي، يقول: "ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم، كما أشار إلى التفاعل بين العناصر النحوية والدلالية، فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء، وتبادل تأثير مستمر، فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس

---

(١) فندريس: اللغة، ترجمة: الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م، ص ٢٣١.

(٢) راجع: سياق الحال في الدرس الدلالي، للدكتور. فريد عوض حيدر (تحليل وتطبيق)، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣٠: ٥٢.

(٣) انظر: دردير محمد أبو السعود، دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، عدد ٧، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ٥٠٧: ٥٠٩.

له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير، ولا ينكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها"(١).

ثالثاً: نظرة البلاغيين للسياق:

اعتمد البلاغيون علي فكرة العلاقة بين المقال والمقام (أو مقتضي الحال)، فالبلاغة عندهم هي مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته(٢)، ولذا نجد أن بعض المحدثين يذكر أن جوهر البلاغة عند علماء العرب ونقادها وبلاغييها هو البحث عن مجالات مطابقة الكلام لمقتضي الحال(٣).

إن فكرة مطابقة الكلام لمقتضي الحال هي إحدي الأفكار التي كان لها أثرها في توجيه البحث البلاغي وتحديد كثير من مساراته، ونظرة إلي تراثنا البلاغي – لا سيما في عصوره المتأخرة– تكشف لنا إلي أي حد بلغ الاهتمام بتلك المطابقة تلك التي عدت غاية البحث في علميّ المعاني والبيان تارة، وعرفت بها البلاغة كلها تارة أخري.

ونود في البداية أن نحدد مدلول مصطلحي "الحال" و"مقتضي الحال" كي نصل في ضوء هذا التحديد إلي تصور مفهوم تلك المطابقة ووظيفتها في نظر البلاغيين.

أما مصطلح الحال فقد كان يرادف في أغلب استعمالاته لدي البلاغيين مصطلحاً آخر هو المقام. (٤)

فكل من المصطلحين يقصد به: مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات التي تلابس النشاط اللغوي، ويكون لها (أو ينبغي أن يكون) تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه

---

(١) النحو والدلالة للدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف، طبعة ١٩٩٨م، وطبعة ١٩٨٣م، الطبعة الأولى، ص ٩٨: ١١٣.

(٢) انظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ١/٨٠، وانظر التفتازاني، مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني علي تلخيص المفتاح ١/١٠٠، والبناني: تجريد البناني على مختصر السعد ١/١٠٠.

(٣) د: بدوي طبانة، البيان العربي صـ٤٢٥.

(٤) التهانوى، كتاب اصطلاحات الفنون ج٢، صـ١٢٦.

بحيث لا تتحدد دلالة الكلام أو تتجلي مزاياه إلا في ظلها، وفي ضوء ارتباطه بها، وقد ترددت في تراثنا بصدد ذلك تلك العبارة الذائعة "لكل مقام مقال".(١)

يقول (السكاكي) محدداً بعض المقامات مشيراً إلي تنوع الكلام بتنوعها: "إن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب .... وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي "(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن (السكاكي) قد أورد بعد هذا النص بقليل عبارة: ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وهي عبارة تدل علي أن مفهوم المقام عنده يتسع ليشمل مجموعة القرائن اللغوية التي يكون لها ردود أفعال في تحديد دلالة الكلام، ولكن هذا الاتساع فيما يبدو كان علي مستوي التنظير فحسب، إذ إن التطبيق عنده كان مقصوراً علي العناصر الخارجية (غير اللغوية) للمقام فحسب، وهو اتجاه تابعه فيه كثير من البلاغيين بعده.

فموضوع الكلام أو غرضه (بالمفهوم العام) والظروف الخارجية التي تلابسه، والمخاطب الذي يتوجه إليه، كل أولئك مقامات في نظر السكاكي يتفاوت الكلام بتفاوتها، هذا ويتضح أن هناك – لدى السكاكي – صلة قوية بين الكلام والموقف أو المقام الذي قيل فيه، وكذلك إغفال السكاكي لشخصية المتكلم في رصد المطابقة.

وعلي أية حال مصطلح (مقتضي الحال) اهتم به علماء (علم المعاني)، و(الحال) في اصطلاحهم يعدل (مقتضي الحال)، يقول التهانوي: "والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم علي وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعني خصوصية ما، هي المسماة بمقتضي الحال؛ مثلاً كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد بمقتضاها وعلي هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال-

---

(١) راجع نقد النثر صـ٩٦، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية سـ١٩٧١، صـ٥١.

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي (أبو يعقوب يوسف)، مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣٤٨هـ، صـ٧٣.

أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم، حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال[١].

فمن الواضح أن أهل علم المعاني اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع، والتعريف يقتضي أن يكون المتكلم علي علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم؛ حتي يأتي بالكلام علي صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع.

وإذا ما نظرنا إلى "المقال" علي أنه يمثل "السياق اللغوي" فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوه عناية كبيرة، وليس أدل علي ذلك من ربط العلامة عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، حيث يقول: "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقاً معناها بمعني ما يليها. فإذا قلنا في لفظة "اشتعل" من قوله تعالي: "واشتعل الرأس شيباً"[٢] على أنها في أعلي رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها الرأس معرفاً بالألف واللام ومقروناً إليها الشيب منكراً منصوباً. [٣]

ويقول في موضع أخر: "فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وخلافها في ملائمة معني اللفظة لمعني التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"[٤].

---

(١) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٢٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م، وراجع في هذا أيضاً ما ذكره:

ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة صـ٨٤، حيث يجعل الغرض هو أحد أقسام الكلام في نظره: وأما الغرض فبحسب الكلام المؤلف فإن كان مدحاً كان الغرض به قولاً ينبئ عن عظم حال الممدوح، وإن كان هجواً فبالضد، راجع: ابن سنان الخفاجي(أبو محمد عبد الله) سر الفصاحة، تصحيح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٦٩م، صـ٨٤.

وقد عرف الباقلاني البلاغة بأنها التعبير عن المعني بما هو طبقه ورقمه من غير أن يفضل عنه ولا يقصر دونه ، الباقلاني، (أبو بكر محمد بن الطيب): نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون تاريخ، ص٢٥١.

(٢) سورة مريم: الآية (٤).

(٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ٣٦٤، تحقيق د/ محمد رضوان الداية، ود/ فايز الداية، مكتبة سعد الدين دمشق، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز، صـ٩٢.

أما إذا نظرنا إلي "المقام" علي أنه يمثل "سياق الموقف"، وجدنا ذلك أيضاً واضحاً عند البلاغيين، فهذا عبد القاهر الجرجاني يربط الكلام بمقام استعماله، ومراعاة مقتضي حاله، وهو لب دراسة المعني اللغوي عنده، ومنبثق من نظريته للنظم، وثار علي اللغويين العرب؛ لأنهم لم يستفيدوا من مبدأ جيد وضعه سيبويه، مؤداه ربط الكلام بمقام استعماله[1]، بل وقع في ظنهم أن كل تقديم أو تأخير أو حذف .....، إنما هو للعناية والاهتمام كما قال صاحب الكتاب[2] وأورد عبد القاهر قول النحويين: "إن معني ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون مَنْ أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى أنهم يريدون قتله ولا يبالون مَنْ كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شئ، فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجيَّ فيقول قتل الخارجي زيدٌ. ولا يقول: قتل زيدٌ الخارجيَّ، لأنه يعلم ... من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متي يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه. ثم قالوا – أي النحاة-: فإن كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أنه يقتل رجلاً، فقتل رجلاً، وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنه يقدم ذكر القاتل، فيقول: قتل زيد رجلاً، ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس من شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظن[3].

ثم يعلق عبد القاهر علي ذلك بقوله": وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم[4]؟. وهكذا يدعو عبد القاهر إلي عدم تطبيق قاعدة واحدة علي كل الحالات، بل لابد من النظر في حال المتكلمين والمستمعين، ومعرفة أسباب العناية وبواعثها.

كما أشار في موضوع آخر إلي أن الفاعل قد يكون له مفعول مقصود قصده معلوم إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه[5]، ونوع منه أن تذكر الفعل وفي نفسك

---

(١) انظر: د/ البدراوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني (المفتن في العربية ونحوها) ٢٣٨ – ٢٤٢ طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة سـ١٩٨٧م.

(٢) الكتاب ١/ ٣٤.

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز ١٣٦.

(٤) دلائل الإعجاز صـ١٣٧.

(٥) نفسه ١٣٧.

له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما بجري ذكر، أو دليل حال إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه[1].

ومن النماذج التي تؤكد اهتمام. عبد القاهر بشقي السياق في دراسته للتراكيب وما يعتورها من حذف، قوله: "ومما يجب ضبطه هنا أيضاً: أن الكلام إذا امتنع حمله علي ظاهره حتي يدعو إلى تقدير حذف، أو إسقاط مذكور كان علي وجهين.

أحدهما: أن يكون امتناع تركه علي ظاهره، لأمر يرجع إلي غرض المتكلم، ومنه قوله تعالي: "واسأل القرية"[2]، وقوله تعالي: "ليس كمثله شئ"[3].

والوجه الثاني: أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره، ولزوم الحكم بحذف أو زيادة، من أجل الكلام نفسه، لا من حيث غرض المتكلم به، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة[4]، وهكذا يربط الجرجاني جميع القرائن النحوية من تضام أو رتبة أو مطابقة[5]، بمراعاة السياق اللغوي وسياق المقام، وما يتصل بالموقف من ظروف، وبكل ما له علاقة بحالة المتكلمين وموضوع الكلام والمخاطبين وما يتصل بمشاعرهم علي نحو ما مر في مثال الخارجي.

وإذا كان مصطلح "مقتضي الحال" يقترب إلى حد كبير من مصطلح "سياق الحال" في الدرس اللغوي الحديث، ويشترك معه في أهم خاصية، وهي الاهتمام بالجانب الاجتماعي للغة، إلا أن مصطلح "مقتضي الحال" حسب تعريف التهانوي – أضيق دلالة من مصطلح "سياق الحال"، إذ لابد أن يسبق "المقام" أو "مقتضي الحال" "المقال"؛ لأن الكلام يصاغ بمقتضاه، وهذا يختلف عن مفهوم سياق الموقف حيث يستعان بعناصره في فهم الكلام بعد إنتاجه وهذا المقال جزء من هذا السياق وليس منفصلاً عنه.

---

(١) نفسه ١٦٩.

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٢.

(٣) سورة الشورى، الآية ١١.

(٤) عبد القاهر الجرجاني، كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة، ودار المدني، بجدة، الطبعة الأولي سـ١٤١٢هـ ١٩٩١م صـ٤٢١- صـ٤٢٢.

(٥) انظر علي سبيل المثال كلامه حول نفي علم المخاطب بالانطلاق في نحو زيد منطلق، وعلمه بأن انطلاقاً كان في نحو ، زيدٌ المنطلق" ، انظر دلائل الإعجاز ١٨٥، و ٢٠٣، ٢٥٨.

ويري الدكتور (كمال بشر): أن البلاغيين قد وفقوا في إدراك شئ مهم في الدرس اللغوي وهو المقام، ولكنهم – كعادتهم – طبقوه بطريقتهم الخاصة، لقد كانت عنايتهم في "المقام" موجهة نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها، ولهذا كانت نظرتهم إلى المقام أو مجريات الحال أو ما يسميه هو – المسرح اللغوي نظرة معيارية لا وصفية[١]، وبذلك يختلف المقام عند البلاغيين عن سياق الموقف عند المحدثين، وهذا ما سوف تكشف عنه الفقرات التالية من البحث.

ومن منطلق اعتماد البلاغيين علي السياق اللغوي بمعناه الضيق نجدهم يعتمدون في الدرس البلاغي علي الأبيات المفردة المنفصلة عن سياق نصوصها، وغالباً ما تتكرر هذه الشواهد وتلك الأمثلة من كتاب إلى آخر، ويدلل علي ذلك – أيضاً – أنه لم يرد في البلاغة العربية كلها تحليل قصيدة شعرية متكاملة إلاَّ في حالة واحدة هي الاستثناء المؤكد للقاعدة، وهي قصيدة المتنبي التي حللها حازم القرطاجني[٢].

ونادراً ما نجد نصاً أو قصيدة كاملة يستشهد بها البلاغي القديم، فهذا ابن طباطبا العلوي (ت ٧٤٩هـ) يبين أن الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعر، دبَّره تدبيراً يسلس معه القول، ويطرد فيه المعني، ثم ذكر شاهداً علي ذلك وهو قصيدة للأعشى وما اقتصه من خبر السموأل فيها[٣].

وكذلك حال النقاد فقد درجوا علي أن وحدة الشعر هي البيت – وهو ما يقابل السياق الضيق، لا القصيدة "سياق النص"، وقد نتج عن هذا المفهوم أنهم عدوا احتياج البيت إلى ما بعده ليتم معناه، وهو ما يسمي بمصطلح "التضمين" عيباً من العيوب التي يجب علي الشاعر المجيد أن يتجنبها، وهم لا يقصرون هذا العيب علي الشاعر بل يحملونه علي النثر أيضاً[٤].

وقد يهمل السياق (اللغوي وغير اللغوي) عند كثير من البلاغيين، وذلك عند حديثهم عن شروط فصاحة الكلام، حيث وضعوا مجموعة من الشروط منها: أن تكون الكلمة مكونة من حروف متباعدة المخرج[٥]، وأن تكون معتدلة في الوزن أي غير كثيرة

---

(١) انظر دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) دار المعارف، بمصر سـ١٩٦٩م صـ٦٤.

(٢) راجع: دكتور فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، صـ١٠٩.

(٣) ابن طباطبا العلوي: كتاب عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز المانع، صـ٢٠٣.

(٤) نفسه صـ٢٠٣.

(٥) انظر ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، صـ٥٤، والعلوي: الطراز،١/ ١٠٤، ٣/ ٢٢١.

الحروف[١]، وألا تتألف من حروف متنافرة[٢]... إلخ، وطبقوا هذه الشروط علي الحكم بفصاحة الكلمة وعدمه، دون النظر إلى موقعها من سياقها اللغوي، والموقف الذي استخدمت فيه.

لكن بعض البلاغيين ربطوا فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي مثل عبد القاهر، الذي ربط فصاحة الكلمة بانتظامها في التركيب ربطاً صريحاً يقول: "وجملة الأمر أنا لا نوجب "الفصاحة" للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقاً معناها بمعني ما يليها[٣].

وهذا ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) يربط التفاضل في الألفاظ بسياقها اللغوي والموقف الذي استخدمت من أجله، حيث ذكر أن التفاضل بين الألفاظ يقع في تركيبها أكثر مما يقع في مفرداتها لأن التركيب أعسر وأشق[٤]، فإذا وجدت لفظتان تدلان علي معني واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال فإنه لا يحسن استعمال إحداهما في كل موضع تستعمل فيه الأخرى بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا الأمر لا يدركه إلا من دقّ فهمه، وجلّ نظره[٥]، وذلك لأن العبرة بحسن استعمال الألفاظ في مواضعها اللائقة بها "فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك، وأما الرقيق منها، فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات[٦] ورغم ذلك لا نعدم أن نجد من بين البلاغيين من يدرس المقال من خلال السياق بشقيه مثل عبد القاهر الجرجاني، الذي اهتم بالسياق اللغوي من خلال طرحه لفكرة النظم، وهي الفكرة التي تقوم علي دراسة التراكيب والموازنة بينها عن طريق "السياق" اللغوي الذي يقوم بدور مهم في تحديد قيمة الكلمة ودلالتها داخل التركيب، وبيان الأنسب والأصلح في وصف التركيب للدلالة علي المعاني التي ينشدها البلغاء في المقامات التي ينظمون فيها، ومن ثم يتفاوت نتاجهم علي قدر توفيقهم في إحكام النظم[٧].

---

(١) ابن سنان: الفصاحة صـ٧٨، والطراز، ١/١٠٩.

(٢) الطراز ١/ ١٠٩، والإيضاح للقزويني ١/ ٧٢.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز (تعليق: محمود شاكر) صـ٤٠٢، وتعليق خفاجي صـ٣٧٩.

(٤) ابن الأثير، المثل السائر ١/ ١٦٦.

(٥) نفسه ١/١٦٤.

(٦) نفسه ١/١٨٥.

(٧) انظر دكتور : طاهر سليمان حمودة، دراسة المعني عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٨٣، صـ٢٢٥

وعلي أية حال فإن الأمر سيتضح أكثر حينما نري موقف علماء اللسانيات من السياق علي نحو ما يعالج في المحور التالي:

المحور الرابع: علماء اللسانيات ونظرتهم للسياق:

مع بداية النصف من القرن الماضي، بدأ التوجه نحو تحليل الخطاب، ففي عام ١٩٥٢م قدم (هاريس Harris) منهجاً لتحليل الخطاب المترابط سواء في حالة النطق أو الكتابة استخدم فيه إجراءات اللسانيات النصية والوصفية بهدف اكتشاف بنية النص[١].

ولكي يتحقق هذا الهدف، رأي هاريس أنه لابد من تجاوز مشكلتين هما[٢]:

الأولي: قصر الدراسة علي الجمل والعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي، مما يحول دون الفهم الصحيح، ومن ثم اعتمد علي ركيزتين[٣]:

أ- العلاقات بين الجمل.

ب- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

بعد ذلك بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلي ما أشار إليه هاريس، وإلي أهمية تجاوز الدراسة وغيرها من مستوي الجملة إلي مستوي النص، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، مشكلين اتجاهاً لسانياً جديداً عرف بلسانيات النص أو اللسانيات النصية، وهذا النوع من الدراسات يتخذ من السياق مرتكزاً له، فبناءً علي السياق اللغوي أو ما يوازي المقام يمكن تفسير وتحليل الجمل بطرق متعددة.

كما أن كثيراً من الدراسات اللغوية الدائرة في فلك نَحْو الجملة أهملت الجانب الدلالي، أو لم تعن به عناية كافية، كما هو الحال في المدرسة البلومفيلدية(*) أول أمرها[٤] مما حدا بعلماء لغة النص إلى تلافي هذا القصور في دراستهم للنص "ويتضح

---

(٢) هاريس: تحليل الخطاب، من ص ١: ٣٠.

(٣) نفسه، ص ١: ٢.

(٤) نفسه، ص ٤.

(*) هو اتجاه لغوي ينسب إلى ليونارد بلومفيلد ١٨٨٧- ١٩٤٩م، حيث يفرق بين اللغة والكلام ويعرف الصيغة اللغوية بأنها الموقف الذي تنطق فيه واستجابه السامع، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحدث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف ما.

(٤) انظر: الدكتور/ سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص ٤١٣، ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت، (دراسات مهداة إلى ذكرى عبد السلام هارون)، ١٩٩٠م.

ذلك من تعليل " فنديك " حين يقول في كل الأنحاء السابقة على نحو النص وصف للأبنية اللغوية، ولكنه لم يعن بالجوانب الدلالية عناية كافية؛ مما جعل علماء النص يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصراً على وصف الجملة، بينما يتضح من يوم إلى آخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية وبخاصة الجوانب الدلالية التي لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النص(١).

كما أهمل نَحْو الجملة السياق الاجتماعي، وهو سياق على قدر كبير من الأهمية في الدراسة اللغوية، وقد أكد هذه الأهمية الاتجاه الوظيفي الذي رأى أن اللغة عبارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات (٢)، كما أكد أهمية هذا السياق وغيره من سياقات، مدرسة لندن التي عرفت بما يسمى بالمنهج السياقي أو المنهج العلمي وكان زعيم هذا الاتجاه " فيرث " الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة(٣)، مما حدا بعلماء لغة النص إلى الاهتمام بهذا السياق، وما يتصل به من أمور تتعلق بمنتج النص ومستقبله والمحيط الثقافي والمقاصد والغايات وهي أمور يشملها مصطلح "مقاميات" ومن ثم يجيء تعامل علماء لغة النص مع النص بوصفه حدثاً اتصالياً(٤)، واعتبار محور لسانيات النصية هو "كيف تؤدي النصوص وظيفة التفاعل الإنساني"(٥).

ويوضح الدكتور سعد مصلوح أهمية هذه النقلة (من الجملة إلى النص) واعتبارها للجانبين الدلالي والمقامي، بقوله: "إن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتراءً، والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى،

---

(١) الدكتور/ سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ص ١٣٣، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.

(٢) الدكتور/ يحيي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص ٧١، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، الكويت، ديسمبر ١٩٨٩م، وانظر اللسانيات الوظيفية،ص ٤٠ للدكتور/ عبد القاهر المهيري، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ١٩٨٦م.

(٣) الدكتور/ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٦٨، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، وحول نظرية سياق الحال عند فيرث راجع: نظرية المعنى عند فيرث في الميزان لجون لاينز، ترجمة: عبد الكريم مجاهد ص ٢٤: ٤٠، مجلة الفكر العربي العدد ٧٨، معهد الانتماء العربي، لبنان ١٩٩٤م.

(٤) ديبوجراند: مقدمة في علم اللغة النصي، ص ٣.

(٥) نفسه، ص ٣.

كما ظهر في اللسانيات أول أمرها، ومن ثم كان التمرد على نَحْو الجملة والاتجاه إلى نَحْو النص أمراً متوقعاً، واتجاهاً أكثر اتساقاً مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث، وإن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب جملاً أو تتابعاً من الجمل، ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين، ويكثر في هذه الحال تصادم المصالح وتعقد المقامات، ومثل ذلك نراه في حدث الكتابة حين تتعقد العلاقات بين مكونات الصياغة اللغوية وترتد أعجازها على صدورها، وتتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه رد الأمر كله إلى الجمل أو نماذج الجمل تجاهلاً للظاهرة المدروسه، ورداً لها إلى بساطة مصطنعة تخل بجوهرها، وتفضي إلى عزل السياقات المقالية والمقامية والأُطُر الثقافية واعتبارها أمراً قائماً خارج النحو وطارئاً عليه"[١].

وقد استرعى انتباه الدكتور سعد مصلوح أن كثيراً من أدوات نحو النص (والذي يعني بالسياق بشقيه) موجود في البلاغة العربية خاصة البديع؛ إذ قال مشيراً إلى هذه الأدوات أو الظواهر حسب تعبيره: "وجدير بالذكر أنك ربما وجدت هذه الظواهر بعضها أو جلها، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتاً وفرادى؛ لانصرافها إلى متابعة الشاهد والمثال والجملة، ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الوجهة ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي. [٢]

وكذلك نستطيع أن نقول إن النتائج المفيدة التي تمت من خلال العلاقة بين البلاغة والدلاليات قد أفرزت حقلاً جديداً من العلوم هو حقل الأسلوبيات الذي يبحث في مختلف الأنواع التعبيرية سواء كانت لغوية أو سيميولوجية[٣]؛ فالعمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشئ إلي المتلقي تستخدم فيها الشفرة اللغوية نفسها[٤]، وعلم الأسلوب هذا يمكن له أن يكون اجتماعياً إذا ماركز اهتمامه علي الأشكال اللغوية التي يتجلي فيها

---

(١) الدكتور/سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص ٤١٣.

(٢) الدكتور/ سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص ١٥٧، مجلة فصول المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو وأغسطس ١٩٩١م.

(٣) د. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية صـ١٢٧.

(٤) نفسه ١٦٨.

نمط الثقافة في المجتمع[١]، واختيار الأسلوب المناسب مرهون بظروف الاتصال السياقية أكثر مما هو مرهون بمضمون الاتصال نفسه[٢]، كما أن الأساليب اللغوية ترتبط بالطبقات الاجتماعية، وتقرر المكانة الاجتماعية للمخاطب، وقد يتحدد الأسلوب اللغوي علي أساس مكانة الموضوع المناقش[٣].

ويري علماء الأسلوبية المحدثون أن ناطقي اللغة لا يحتفظون دائماً بنطقهم علي حال واحدة، بل يغيرونه حسب السياق، وحسب المتحدث إليه، وموضوع الحديث، فتنـــوع المستوي ينتظم ثلاثة أبعاد متصلة.

١- مجال الحديث بما له من تأثير علي بعض الصفات النحوية والقاموسية، وحينما يتغير موضوع الحديث في إطار نص طويل فإن لهذا التغير نتائج لغوية.

٢- نوع الحديث: وهو بُعْد يتصل بالاختلاف بين اللغة المنطوقة والمكتوبة.

٣- مستوي الحديث: وهو بُعْد يرتبط بالنتائج اللغوية التي تنتج في موقف معين بين المتكلم "الكاتب" والمستمع "القارئ" ويتضمن مستوي الكلفة بينهما كليـــة، كمـــا يتدخل الدور الاجتماعي للمتلقي أو الطرف الثاني في تحديد المستوي[٤].

وبناءً علي ما سبق يمكن تعريف الأسلوب بأنه: اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين، وهذا الاختيار يرتبط بالسياق وينقسم إلي:

أ- اختيار محكوم بالموقف أو المقام، وهذا الانتقاء هو انتقاء يؤثر فيه المنشئ كلمـــة أو عبارة علي أخرى وهي أكثر مطابقة للحقيقة.

ب- اختيار محكوم بمقتضيات التعبير اللغوي ومرتبط بالقواعد اللغوية المختلفة[٥].

---

(١) ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: د/ سعد عبد العزيز مصلوح، ود/ وفاء فايد كامـــل، المجلس الأعلى للثقافة، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٣٧.

(٢) د. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية صـــ١٢٧، وانظر: د/ علي عزت، الاتجاهات الحديثة فـــي علم الأساليب وتحليل الخطاب صـــ١١ وما بعدها.

(٣) انظر : برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية ٩٩ وما بعدها.

(٤) انظر : د/ مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية ١٦٨.

(٥) د/ إبراهيم ضوه: في علم الدلالة ١٨٩ وما بعدها، وانظر د/ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي ١٩٨ وما بعدها، و د/ محمود السعران، اللغة والمجتمع صـــ٣٧ وما بعدها.

هذا ويقسم المحدثون الأساليب التي يمكن للفرد أن يستعملها إلي الأسلوب الجامد، والرسمي، والاستشاري، والعادي، وأسلوب الألفة الشديدة، وكل هذه الأساليب مرتبط بالمقام، وكذلك المستوي الثقافي والمعتقدات السياسية والاجتماعية....إلخ[١].

وقد بدأت نظريات تحليل الخطاب تأخذ مكان الأسلوبيات الحديثة؛ هذه الأسلوبيات التي ورثت البلاغة العربية القديمة لم تستطع في الآونة الأخيرة أن تستوعب الخطاب، أما نظرية تحليل الخطاب فقد أفادت من مناهج عديدة للأسلوبيات وغيرها من العلوم ثم بنت عليها وطورتها مستفيدة من المقاييس والموازين العلمية التي تقوم عليها العلوم اللسانية بكل مالها من تقنيات حديثة وخاصة اللسانيات الاجتماعية.

وتهدف نظرية تحليل الخطاب إلي مساعدة المتلقي (القارئ، والمستمع) علي فهم الخطاب فهماً يتناسب والسياقات الاجتماعية والنفسية والتاريخية واللغوية والأدبية للمرسل والمرسل إليه[٢].

ومن خلال تأمل ما حدده أصحاب هذه النظرية من مكونات يتبين لنا دور السياق المهم في مبادئها وخاصة المكونات الاجتماعية للخطاب التي تنص علي أن النص ينبغي أن يحقق أنماطاً كثيرة أهمها أنماط السياق، وتشمل، مسرح التفاعل اللغوي، ومكانه، وزمانه، وموضوع الحوار، والشخصيات المشاركة في الحوار، وعلاقة بعضها ببعض من النواحي الاجتماعية، والخلفية الحضارية الاجتماعية، والخلفيات الأخرى للشخصيات[٣].

---

(١) انظر د/ مازن الوعر، الاتجاهات اللسانية ودورها في الدراسات الأسلوبية، بحث بمجلة عالم الفكر، يونيو ١٩٩٤م صـ١٧٢ وما بعدها، ود / منذر عياش، اللسانيات والدلالة صـ١٦، ود/ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص صـ٢٤٧ وما بعدها، وبراون ويول، تحليل الخطاب صـ٨، د/ سعيد بحيري، علم لغة النص صـ٩ وما بعدها.

(٢) د/ مازن الوعر: الاتجاهات اللسانية ودورها في الدراسات الأسلوبية صـ١٧٥.

(٣) براون ويول: تحليل الخطاب صـ٣٢، ويعلق المترجمان بأنهما اختارا مصطلح المقاصد ترجمة للمصطلح اللغوي الغربي الذي يشير إلي أحد ثلاثة أقسام من السيميائية ــ ويهتم بدراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلم والخاطب علي الحكم والمقاصد من الكلام، انظر السابق صـ٣٦.

يقول براون ويول: إن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية (جملة مثلاً) تحليلاً كاملاً بدون مراعاة للسياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك كبير، وإن أي مقاربة لسانية تتضمن اعتبارات سياقية تنتمي بالضرورة إلي ذلك المجال من الدراسة اللغوية الذي يسمي علم المقاصد وممارسة تحليل الخطاب تتضمن بالضرورة القيام بدراسة للتركيب والدلالة ولكنها أساسًا تتضمن القيام بدراسة المقاصد[١].

وقد ألف روبرت دي بوجراند كتابه "النص والخطاب والإجراء" بغرض إنشاء علم للنص متعدد أوجه العناية بحيث تتعدد جهات النظر إلي النص[٢]، حدد فيه معايير لجعل النصية أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها وهي السبك، وهو معيار الترابط الرصفي والالتحام؛ إلا أن أكثر هذه المعايير علاقة بالسياق هو معيار الالتحام والقبول ورعاية الموقف[٣].

ومن خلال العرض السابق يري الباحث أنه لابد من إلقاء الضوء علي المدرسة اللسانية الاجتماعية وموقفها من السياق نظراً لأنها تعد أقرب المدارس اللسانية إلي البلاغية العربية.

هذه المدرسة اتخذت من السياق مرتكزاً لها، أسسها العالم الإنجليزي (فيرث firth) في بريطانيا عام ١٩٤٤م[٤] وعرفت هذه المدرسة بما سمي بالمنهج السياقي الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة[٥]، ونستطيع أن نقول إن المدارس أو النظريات اللسانية قبل "فيرث" لم تتناول فكرة السياق بالمفهوم الذي تحدد علي يديه وأصبح نظرية دلالية مترابطة الجوانب.

وينقسم السياق عند "فيرث" وغيره إلي السياق اللغوي، وسياق الموقف، وأضاف أحد أتباعه وهو "ليونز" سياقاً أخر هو السياق الثقافي، إلا أن كل هذه الأنواع تنطوي

---

(١) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د/ تمام حسان صـ٥.

(٢) نفسه صـ١٠٣.

(٤) روبينز: موجز تأريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: د. أحمد عوض، عالم الفكر، الكويت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص ٢١٣.

(٤) انظر : د/ أحمد مختار عمر: علم الدلالة صـ٦٨.

(٥) انظر : بالمر، علم الدلالة ، ترجمة صبري إبراهيم السيد ، صـ٦٩، ١٤١، وانظر: جون لاينز: علم الدلالة، ص ٦٠٧: ٦٠٩.

تحت نوعين هما: السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي، كما أشار "بالمر"[١] إلي أقسام السياق بأنها.

١- السياق اللغوي ويشمل الوحدات الصرفية والصوتية وطرق ترتيب الكلمات والعلاقات داخل التراكيب، وطرق أداء الجمل وظواهر النبر والتنغيم إلخ..

٢- السياق غير اللغوي ويشمل العناصر المقامية المصاحبة للحدث كشخصية المتكلم وثقافته والموضوعات المتعلقة بالحدث اللغوي، والظروف المحيطة بالكلام؛ ولأن السياق غير اللغوي يشمل جميع السياقات غير اللغوية السابقة، ويتسع أيضاً ليشمل سياقات أخرى مثل السياق الحضاري- الاجتماعي- الشرعي إلخ؛ فالسياق يمكن أن يكون موقفاً اجتماعياً محدوداً تستخدم فيه الوحدة اللغوية، فعلي سبيل المثال استخدام كلمة، spinster التي تشير إلي سيدة عجوز غير متزوجة، ولكن في السياق الشرعي القانوني" تشير إلي أي امرأة غير متزوجة"[٢].

إن كل العناصر التي تندرج تحت السياق غير اللغوي يطلق عليها سياق الموقف، وقد ارتبط هذا المصطلح بعالمين أحدهما عالم الأنثروبولوجيا "مالينوفسكي"، والآخر لغوي هو "فيرث" حيث عني كل منهما بإبراز المعني بالنظر إلي هذا السياق، وإن اختلفت طرق البحث عندهما إلي حد ما. [٣]

وقد اعترف (فيرث) بأنه مدين لـ (مالينوفسكي) في لفت نظره إلي هذا المصطلح، إلا أن فيرث رأي أن استخدام (مالينوفسكي) لهذا المصطلح لم يكن مرضياً للاتجاه اللغوي الأكثر دقة وإحكاماً[٤].

فسياق الموقف عند (مالينوفسكي) هو ذلك الجزء من العملية الاجتماعية الذي يمكن تأمله منفرداً "أو" هو مجموعة فعلية من الأحداث يمكن ملاحظتها[٥]، أما عند (فيرث) فهو نوع من التجريد حيث نظر إليه باعتباره جزءاً من أدوات عالم اللغة وأعد له تنظيماً مناسباً ينطبق علي أحداث اللغة ويشمل مجموعة العناصر السالف ذكرها. علي

---

(٣) راجع: دكتور/ مصفي ناصف: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، صـ٤٣٤.

(٢) انظر: علم الدلالة لفرانك بالمر صـ٧٤.

(٣) نفسه صـ٧٦، ٧٧.

(٤) نفسه صـ٧٧.

(٥) انظر د/ محمود السعران: علم اللغة، صـ٣٣٩، وبالمر، علم الدلالة صـ٨١ وما بعدها.

حين كانت نظرة "بلومفليد" إلي هذا السياق نظرة مادية، حيث حده بظواهر يمكن تقريرها في إطار من "الأحداث العملية" متجاهلاً حقائق لها شأن بالكلام[١].

وقد تأثر علماء العرب بنظرية (فيرث) السياقية، لأنهم تتلمذوا علي هذا العالم الإنجليزي، ومن هؤلاء الدكتور، كمال بشر، الذي أطلق علي العناصر المكونة لسياق الموقف عناصر المسرح اللغوي[٢]، وأشار أنه يمكن خلق المسرح للنص الذي فقد مسرحه، وهو عمل شاق وصعب كما وصفه – يحتاج إلي ذكاء وثقافة واسعة، حيث يجب معرفة ظروف هذا النص من حيث زمانه ومكانه وكاتبه، وثقافة هذا الكاتب ومناسبة كتابته والجو العام والخاص الذي أحاط بتأليف هذا النص وكاتبة[٣].

وقد أشار بعض النقاد المعاصرين إلي أن سياق الموقف قد يتحدد من خلال الكلام نفسه (متن النص)، وقد يقع خارجه، وعليه فإن عملية تفسير النص تأخذ في الحسبان سياق النص، وسياق الموقف فضلاً عن الأعراف والتقاليد في المجتمع والمعطيات الحضارية بصفة عامة، وأن هذه العناصر جميعاً متضافرة؛ حتى إن غياب واحد منها قد يفسد عملية التفسير أو يعطلها[٤].

وبعد هذا العرض هل يمكن أن يكون مفهوم " المقام" عند البلاغيين مقابلاً لمفهوم "سياق الموقف" عند اللسانيين؟

لقد ذكر بعض الباحثين أن البلاغيين العرب تحدثوا عن العناصر التي يتكون منها سياق الموقف مثل "المتكلم" "المرسل" والسامع (المستقبل) والخطاب أو الرسالة في إطار من المقامات التي تحكم هذه العناصر مجتمعة، وذكر ذلك مفصلاً فتحدث عن تصنيف البلاغيين لأحوال المتكلمين والمستمعين من حيث المنزلة الاجتماعية والظروف النفسية والمستوي الحضاري والثقافي، ثم تحدث عن الخطاب أو الرسالة من حيث غرضها من مدح أو ذم....إلخ[٥].

---

(١) دكتور كمال دراسات في علم اللغة صـ٥٨.

(٢) نفسه صـ٥٨.

(٣) انظر د/ عز الدين إسماعيل: قراءة في معني المعني عند عبد القاهر صـ٤٢.

(٤) عز الدين إسماعيل السابق صـ٤٤، وانظر : د/ هدسون/ علم اللغة الاجتماعي صـ٣٥٤ – ٣٥٥، وانظر : د: تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها صـ٣٣٧ وما بعدها.

(٥) انظر تفصيل ذلك د/ إبراهيم الدسوقي: جهود البلاغيين العرب في مجالي الأصوات والدلالة في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٩٩٨م صـ ٩٨ – ١١٣.

فهل يعني هذا اقتراب مفهوم "المقام" من مفهوم سياق الموقف؟

يري الدكتور بشر أن البلاغيين قد وفقوا في إدراك شيء مهم في الدرس اللغوي، وهو المقام، ولكنهم كعادتهم طبقوه بطريقتهم الخاصة، حيث وجهوا عنايتهم في "المقام" نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها، وكانت نظرتهم إلي المقام نظره معيارية لا وصفية، وبذلك يختلف المقام عند البلاغيين عن سياق الموقف عند المحدثين(١)، كما ذكرنا ذلك من قبل.

وكما مر بنا فيما سبق يلاحظ أن "مالينوفسكي" لم يكن يعلم وهو يصوغ مصطلحه الشهير أنه مسبوق إلي مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها بالبلاغيين العرب الذين سجلوه في كتبهم تحت اصطلاح "المقام"(٢).

إن المقام أو "مقتضي الحال – عند البلاغيين فكرة معيارية يجب أن تراعي، وعدم مراعاتها ينفي عن "المقال" صفة البلاغة وهذا جانب ذوقي جمالي، كما أن "المقام" أو مقتضي الحال لابد أن يسبق في وجوده إنتاج الكلام "المقال" أو سماعه، أو قراءته، لأنه هو الذي يصاغ الكلام بمقتضاه، وهذا يختلف عن مفهوم سياق الموقف، حيث يتكون هذا السياق من جملة عناصر تستخدم أو يستعان بها في فهم "المقال" ، وتفسيره، وذلك بعد إنتاج هذا "المقال" من خلال سماعه أو قراءاته . وهذا المقال جزء من هذا السياق وليس منفصلاً عنه، كما كان عند البلاغيين حيث يكون (المقام) قالباً أو نمطاً يصاغ "المقال" طبقاً له.

ويستثني من ذلك عبد القاهر الجرجاني – علي نحو ما مر بنا – فقد استعان بالسياق بشقيه في تحليل التركيب ودراسته، ووظف المقام بما يتسق مع مفهوم سياق الموقف "عند المحدثين، وتخفف من معيارية "مقتضي الحال" عند البلاغيين.

المحور الخامس: نماذج تطبيقية:

تجدر الإشارة إلى أن اتجاه اللسانيين العرب حول ظاهرة السياق ركزت على التنظير دون التطبيق؛ فقد أشار الدكتور تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها

---

(١) د/ كمال بشر: دراسات في علم اللغة صـ٥٧.

(٢) د/ تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها صـ٣٧٢.

ومبناها إلى دور السياق وأكد على الحاجة إلى المقام لاستكمال المعنى[1]؛ إذ إن اللغة عنده ظاهرة اجتماعية، والمقام يمثل عنصراً اجتماعياً في الدلالة، وهو مركز علم الدلالة، ويرى أن ما قام به العلماء العرب من الاستعانة بالشواهد إنما هو افتراض مقام مشابه لمقامه الأصلي، وتحدث عن أنواع المقامات المختلفة، وأشار إلى أن النص المكتوب بحاجة إلى مقدمة تصف المقام الخاص به، وذكر أن المقام هو مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجاباً وسلباً، ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان، ورأى أنه بهذا المعنى يختلف بعض الاختلاف عن فهم الأولين الذين رأوه حالاً ثابتة، ثم جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال، ورأى أن مصطلح البلاغيين السابق هو فرع من مصطلح المقام.

كما أشار إلى صعوبة حصر المقامات الممكنة في ثقافة شعبية معينة وأشار أيضاً إلى سبق العرب للأوربيين في اعتبار المقام في تحليل المعنى [2].

وفي إطار التنظير مع التطبيق تجلت عناية الدكتور/ كمال بشر في كتابه علم اللغة الاجتماعي[3]، وبعد حديث نظري طويل يرى الدكتور كمال بشر أن باب النداء وما حواه من أحكام وقوانين تمثل ضرباً من الخطاب الكلامي الذي لا يؤدي دوره في التواصل إلا بوصفه عنصراً من عناصر مسرح اجتماعي يضم مرسلاً ومستقبلاً أو مخاطباً ومتلقياً، ولذلك جاءت دراسة العرب لباب النداء في ضوء هذا المسرح؛ فوزعوا أدوات النداء على المنادى بحسب المقام، وقضوا بعدم جواز حذف حرف النداء مع المنادى البعيد، وكذلك في باب التحذير والإغراء فإنهما من الأساليب التي لا تأتي بفائدة إلا في مسرح لغوي مناسب، أي مقام مكتمل الأطراف، فهما يرتبطان ببيئة اجتماعية مقامية صالحة لتوصيل الرسالة من طرف إلى آخر، وما يحتاجه هذان الأسلوبان من تطريز صوتي يؤكد ارتباطهما بمقام منطوق، وما يتوقع فيهما من حركات جسمية، والأمر لا يختلف في باب النعت المقطوع والتوكيد والحذف، فإن كل هذه الأبواب تعتمد على المقام في توضيح مقصودها.

---

(١) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٨ وما بعدها.

(٢) نفسه، ص ٣٣٦: ٣٧٣.

(٣) د. كمال محمد بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص ٩٩: ١١٣.

أما البلاغيون القدامى فقد وجهوا كل عنايتهم إلى الوظيفة المقامية للأساليب؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر حاول البلاغيون تصنيف صور التوكيد حسب حالات المقام وظروف الموقف، فللمنكر أسلوب أو صورة منه، وللشاك صور أخرى.

إن التوكيد أسلوب لا تتم فائدته ولا تظهر قيمته إلا بربطه بسياق الحال، وإن نظر البلاغيين له يعد نظراً لغوياً بالمعنى الذي تصر عليه المدرسة اللغوية الاجتماعية(١).

ومن النماذج المتعددة التي تدل على اهتمام البلاغيين بالسياق ودوره في دراسة التراكيب البلاغية، ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني أثناء حديثه عن المجاز بالحذف، فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أن تقدير المحذوف في هذا المجاز يتم عن طريق أمرين: الأول: غرض المتكلم، وهو جزء أو عنصر من عناصر سياق الموقف، وذلك مثل قوله تعالى: "واسأل القرية"(٢)، حيث يرى أن الحذف في هذه الآية ليس راجعاً إلى التركيب ذاته، وإنما راجع إلى غرض المتكلم؛ إذ الغرض: واسأل أهل القرية، ثم يوضح أن مثل هذه الآية في غير التنزيل، وفي موقف لغوي آخر لا تحتمل هذا الحذف، وذلك إذا كان في "كلام رجل مر بقرية خربت وباد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً، أو لنفسه متعظاً ومعتبراً: سل القرية عن أهلها، وقل لها ما صنعوا على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك، وغرث أشجارك، وجنى ثمارك..." (٣)، والآخر: أن يكون المحذوف راجعاً إلى الكلام نفسه، أي سياقه اللغوي، لا إلى غرض المتكلم، وذلك إذا كان أحد جزئي الجملة، كالمبتدأ في مثل قوله تعالى: "فصبر ٌ جميل"(٤)؛ فالقرينة الدالة على الحذف هنا هي الاستلزام، وهي قرينة سياقية لغوية حيث يستلزم الخبر أن يكون " مبتدأ، والذي يعين أن يكون المحذوف هو المبتدأ وليس الخبر، هو سياق الموقف – كما ذهب إلى ذلك السيوطي(٥)–، حيث نجد أن الموقف هنا يشير إلى الإخبار عن أمر المتكلم وحاله وهو

---

(١) د. كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ٩٩: ١١٣.

(٢) سورة يوسف الآية: ١٨٢.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (تحقيق: خفاجي)، مكتبة القاهرة، ط٣، ١٧٧٩م، ٢/ ٣٠٢.

(٤) سورة يوسف : الآية ١٨.

(٥) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، السيوطي، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للنشر، بيروت ١/١٠٣.

سيدنا يعقوب، وكأن لسان حاله يقول: شأني صبر جميل، وذلك بعد علمه بفقد ابنه يوسف[1]، فالمبتدأ هنا جزء يتعلق بأمر المتكلم، وهو عنصر من عناصر سياق الموقف بجانب المخاطب وموضوع الحديث، والمخاطب هنا يعرف المبتدأ لأنه يتعلق بالمتكلم ويريد أن يعرف الخبر المتمم لفائدة الكلام.

وتجدر الإشارة إلى أن عبد القاهر قد رجح الحذف هنا إلى معطى السياق اللغوي، لأن مبنى التركيب يحتوي على عنصر واحد – وهو الصفة والموصوف – الذي لا يمكن أن يكون وحده جملة مفيدة كما يرى العلماء المعاصرون أن التركيب في الآيتين يحمل في البنية العميقة غرض المتكلم، وهذا الغرض هو الذي تم حذفه في البنية السطحية[2].

ومن المواضع التي اعتمد فيها عبد القاهر على السياق استعانته بما يسمى عند المحدثين بالسياق الثقافي في التمييز بين الحقيقة والمجاز؛ فتارة يحكم على التركيب بالمجاز، وتارة يحكم عليه بالحقيقة، تبعاً لمعتقدات قائله وثقافته، ويتضح ذلك من خلال تعليقه على قول الصلتان العبدي:

أشباب الصغير وأفنى الكبير (م) كر الغداة ومر العشي

وقول أبي الأصبع:

أهلكنا الليل والنهار معاً والدهر يغدو مصمماً جذعا

بقوله: "طريق الحكم بالمجاز أن تعلم اعتقاد التوحيد، إما بمعرفة أحوالهم السابقة، أو بأن تجد في كلامهم من بعد إطلاق هذا النحو ما يكشف عن قصد المجاز فيه"[3].

فعبد القاهر يشير هنا إلى أن الشاعرين لو ثبت من اعتقادهما نسبة هذه الأفعال للزمن كان تعبيرهما حقيقة، لا مجاز فيه على نحو قول الدهريين:"وقالوا ما هي إلا حياتنا

---

(١) راجع: إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط٢، ١٩٨٢م، ١/ ١٨٦.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٤٩ وما بعدها.

(٣) أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني ٢/٢٧٢.

الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلى الدهر"[1]، أما إذا ثبت اعتقادهما للإسلام فإن نسبة هذه الأفعال إلى الدهر يكون على طريق المجاز لا الحقيقة، فالحكم على الكلام بالمجاز أو الحقيقة في بعض الأحيان يكون راجعاً إلى مراعاة ثقافة المتكلم ومعتقداته.

ويبدو أن السياق الثقافي ليس شيئاً منفصلاً عن سياق الموقف، وإنما يتعلق بأحد عناصره، وهو المتكلم أو المخاطب حيث يراعي ما يتعلق بهما من ثقافتهما ومعتقداتهما عند تحليل النص.

هذا وقد اعتمد عبد القاهر على سياق الموقف – وإن لم يصرح بذلك – في بيان الوصول إلى معنى المعنى لبعض العبارات مثل قولهم: هو كثير رماد القدر، وقولهم عن المرأة: هي نؤوم الضحى.

فقد ذكر عبد القاهر أن الكلام على ضربين: أحدهما: يصل السامع إلى الغرض منه عن طريق دلالة لفظه وحده مثل أن تخبر عن زيد بالخروج على الحقيقة فتقول: خرج زيد، والآخر: لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وإنما يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرض المتكلم، وذلك كمعرفة السامع من هو كثير رماد القدر، أنه مضياف، ومن هي نؤوم الضحى، في المرأة أنها مترفة ومخدومة لها من يكفيها أمرها[2].

ففي النوع الأول لا يبذل المتلقي أو السامع جهداً في تحصيل معناه إذ تحمل بنيته السطحية دلالة حرفية مباشرة، وفي هذه الحالة يوشك المتلقي أن يكون سلبياً إزاء الدلالة أو المعلومة التي ينقلها إليه الكلام. [3]

أما في النوع الثاني فالمخاطب أو السامع مطالب ببذل نوع من الجهد العقلي في الاستدلال على المعنى المقصود، إذ يقتضي منه ذلك إحاطته بالعلاقات غير اللغوية التي يتوقف عليها المعنى الثاني حيث يرجع ذلك إلى معرفة سياق الموقف بما يتضمنه من الجانب الحضاري والاجتماعي المتعلق بأوضاع البيئة العربية البدوية، وقد شرح عبد

---

(١) سورة الجاثية: من الآية ٢٤.

(٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (تحقيق: شاكر)، ص ٢٦٢.

(٣) عز الدين إسماعيل: قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل/ سبتمبر ١٩٨٧م، ص ٣٩.

القاهر ذلك بقوله: "أنت تعرف ذلك المعنى – أي المعنى الثاني – من طريق المعقول دون طريق اللفظ، ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: هو كثير رماد القدر، وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنصب له القدور الكثيرة، ويطبخ فيها للقرى والضيافة، وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة".(١)

وهكذا لابد من متلقي هذه العبارة أن يكون عارفاً بكل هذا، حتى يستطيع أن يدرك معنى الكرم الذي يعنيه معنى العبارة نفسها، وهذا العرف الاجتماعي أو السياق الحضاري هو الذي لا يمكن أن تفضي العبارة إلى معناها الصحيح إلا به.

وهكذا نجد أن عبد القاهر قد استعان بالسياق، وأنه وظف المقام بما يتسق مع مفهوم سياق الموقف عند المحدثين، وتخفف من معيارية مقتضى الحال عند البلاغيين.

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (تحقيق: شاكر) ص ٤٣١.

خاتمة البحث ونتائجه:

بعد هذه الجولة يمكن رصد النتائج الآتية:

أولاً: أدرك علماء العربية وظيفة السياق ودلالته، فقد اتضح ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي، والتركيب الذي قيلت فيه، وذلك عند حديثه عن نظرية النظم، وربط الكلام بمقام استعماله.

ثانياً: أدرك البلاغيون فكرة المقام، وجعلوها أساساً لتحليل المعنى، وحين قال البلاغيون لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء.

ثالثاً: اتضح أن الاعتماد على السياق بجانبيه المختلفين هو أفضل الطرق للوصول إلى دلالة النص اللغوي.

رابعاً: اتضح وجود إشارات لعبد القاهر الجرجاني في تحليل التركيب مستفادة من سياق الموقف والسياق الثقافي.

خامساً: اتضح اهتمام البلاغيين بالجانب التطبيقي للسياق؛ فقد ورد عندهم نماذج تطبيقية كثيرة ومتنوعة، على العكس من علماء اللسانيات النصية الذين اهتموا بالتنظير دون التطبيق.

سادساً: يوصي البحث بضرورة إعادة دراسة الظواهر البلاغية دراسة تعني بالسياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي وذلك في إطار نصوص حديثة.

المصادر والمراجع

- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، دكتور/ علي عزت، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٦م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط٢، ١٩٨٢م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثالثة ١٩٧١م.
- البحث الدلالي عند الأصوليين، د/ محمد يوسف حبلص، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٩١م.
- البيان العربي، دكتور بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو، الطبعة السادسة ١٩٧٦م.
- دراسات في علم اللغة، دكتور كمال بشر، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٣م.
- دراسات لسانية تطبيقية، دكتور/ مازن الوعر، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٨٩م.
- دراسة المعني عند الأصوليين، دكتور: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٨٣م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ١٩٨٤م.
- دلائل الإعجاز، تعليق وشرح عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة ١٩٨٠م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد). شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي. مكتبة صبيح، القاهرة ١٩٦٩م.
- الصناعتين ، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٧١م.
- الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، العلوي: (يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم)، مطبعة المقتطف بمصر ١٩١٤م – ١٣٣٢م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.

- كتاب عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق : عبد العزيز المانع، الرياض ١٩٨٥م.
- في علم الدلالة، د/ إبراهيم ضوه، الطبعة الأولي، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٩٤م.
- قرينة السياق، د. تمام حسان، بحث قدم في الاحتفال بالعيد المئوي لدار العلوم، جامعة القاهرة.
- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٨٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- اللسانيات والدلالة (الكلمة)، د/ منذر عياشي، الطبعة الأولى، حلب ١٩٩٦م.
- اللغة بين البلاغة والأسلوبية، د/ مصطفي ناصف، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٩٨٩.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
- اللغة والمجتمع (رأي ومنهج)، د/ محمود السعران، الطبعة الأهلية، بين غازي ١٩٨٥م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين)، قدمه وعلق عليه: د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٣م.
- النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٨م.
- النحو والدلالة، دكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف، مطبعة المدينة، القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٨٣م.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للنشر، بيروت، د.ت.

(البحوث والدوريات):

١- الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، دكتور/ مازن الوعر، بحث منشور، بمجلة عالم الفكر، الكويت، يونيو ١٩٩٤م.

٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، دكتور، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم ١٦٤، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م.

٣- قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر، دكتور/ عز الدين إسماعيل، مجلة فصول المجلد السابع، العددان ٣،٤،إبرايل وسبتمبر ١٩٨٧م.

(المخطوطات):

- جهود البلاغيين العرب في مجالي الأصوات والدلالة، في ضوء علم اللغة الحديث، إبراهيم الدسوقي عبد العزيز، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٨م.

المراجع المترجمة:

- اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش، ترجمة: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء فايد كامل، المجلس الأعلى للثقافة، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٩٦م.

- تحليل الخطاب، براون ج. ب ويول.ج.، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي، ود. منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

- علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: د/ صبري إبراهيم السيد، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ١٩٨٦م.

- علم اللغة الاجتماعي، د/ هدسون، ترجمة د/ محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

- علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب - البلاغة - علم لغة النص)، برند شبلنر، ترجمة: د/ محمود جاد الرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- مدخل إلى علم الدلالة، بالمر (فرانك بالمر)، ترجمة د/ خالد محمود جمعة، مكتبة العروبة، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.